المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 15A تشرين2 2024
No.15A Nov 2024

بناء الشخصية وبنية المكان في رواية "البَاغ"

م.د. إبراهيم خزعل خليفة
وزارة التربية_ مديرية تربية بغداد الكرخ الثالثة
ثانوية البيارق المختلطة للمتفوقين
albydybrhm1@gmail.com

الكاتبة بشرى خلفان من الروائيات الخليجيات اللواتي تَمَكَّنَّ في السنوات الأخيرة أن تؤكد حضورها الإبداعي بفضل أعمال روائية جيدة تنطلق من الهوية والواقع والمونولوجيّا ولكنها تتجاوزه بعد ذلك لتحلق في سماء الخيال والفن وتوليد التابع الثقافي؛ لأن الإبداع الحقيقي ليس انعكاسًا للواقع، وإنما هو تجاوز مستمر له، ولعل من أهم اعمالها الروائية التي أحسب أنها حققت هذا التجاوز: رواية "البَاغ" التي تمثل أحد تمظهرات بلاغة خطاب الواقعية وتجمع بين عمق التجربة وصدق الشعور، بين وضوح العقيدة وبسالة الدفاع عنها، وتتخذ أشكالًا ملتبسة بين المفاهيم الاجتماعية وما تحمله وخصوصًا الوعي الإبداعي. ففي هذه الرواية تقدم لنا الكاتبة مثالًا لفن القصة يدهش القارئ بأنساق العلامات في الخطاب الموازي بين المرجعي والجمالي عندما تخترقه بنظرة الكاتبة بغية الوصول إلى عمق التجربة بطريقة فنية تجمع عناصر الواقع وتكشف عن التناقضات الكامنة فيه. إنّ أيّ طرح من خلال الذاكرة المقحمة عنوةً لاسترداد مخزونها القديم؛ تضحى الذاكرة باعثًا لسلوك عملي وليس مجرد تذكر آثار وبقايا ولا مجال لإعادة الحياة لها أو الشعور بالحنين فقط، ولعل رواية " الباغ " هي أكثر الروايات الخليجية خصوصية، لأنها تحاول أن تجعل من الشكل الروائي ساحة لصراعات الذاكرة والواقع ومحولة لدفع الذاكرة التاريخية للمجتمع وابرازها، ولأنها تطرح رؤى جديدة لتلك الذاكرة.

كلمات مفتاحية : الشخصية ، الروائية ، الباغ

Character building and place structure in the novel "Al-Bagh"

Dr. Ibrahim Khazal Khalifa
Ministry of Education_ Baghdad Education Directorate, Karkh III
Al-Bayariq Mixed Secondary School for Gifted Students

Abstract:

Bouchra Khalfan is one of the Gulf novelists who, in recent years, has been able to confirm her creative presence thanks to good works of fiction based on identity, reality and monologue, but beyond it to move into the sky of imagination and art and the generation of the cultural follower, because real creativity is not a reflection of reality, Perhaps one of the most important works of fiction that I think they achieved this excess: the novel "Albag," which represents one of the manifestations of eloquence speech realism and combines the depth of experience and honesty of feeling, between the clarity of faith and the bravery of defense, and take forms confused between social concepts and Carry especially creative consciousness.In this novel, the writer provides us with an example of the art of the story, which surprises the reader with the form of the marks in the parallel discourse between the reference and the aesthetic when penetrated by the writer's view in order to reach the depth of the experience in an artistic way that brings together the elements of reality and reveals the contradictions inherent in it.The story of the "Albag" is the most private Gulf novel, because it tries to make the form novelist The arena of conflicts of

memory and reality and converted to push the historical memory of the community and highlight, and because it introduces new visions of that memory.

Keywords: Character, Novel, Al-Bagh

مدخل:

عنوان الرواية " الباغ " عتبة يلج منها القارئ إلى عالم النصّ، فهو عتبة لبوح بأسرار مظاهر الجمالية والمعرفية في المتون السردية، وهي كأيّ نصّ أدبي تكون بينه وبين العنوان علاقة جدلية، إذ أن العنوان بدون النصّ يكون عاجزًا عن تكوين محيطه الدلالي، وكذلك النصّ من غير العنوان يكون عرضة للتماهي في نصوص أخرى.

جاءت كلمة (الباغ) على معاني عدة، وكلّ معنى يختلف بحسب اللغة، ففي المصباح المنير للفيومي ذكره :" الْبَاغُ الْكَرْمُ لَفْظَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ اسْتَعْمَلَهَا النَّاسُ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ"[1]،وتأتي بمعنى ظالِم ،"سَيِّدٌ ظالِم"[2]، خارج على القانون.

وقد ذكرت في قوله تعالى: " إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " [3]، "وقال ابن كثير في تفسيره :قال مجاهد: فمن اضطر غير باغ ولا عاد ـ قاطعا للسبيل، أو مفارقا للأئمة، أو خارجا في معصية الله ـ فله الرخصة، ومن خرج باغيا أو عاديا أو في معصية الله فلا رخصة له، وإن اضطر إليه، وكذا روي عن سعيد بن جبير"[4].

والباغ: باللغة الهندية بغيشة، وباللغة الفارسية تعني الحديقة أو البستان[5].

في ضوء هذه العلاقة، فإن عنوان الرواية في سياقه اللفظي حساس ومثير للقارئ على المستوى التراثي والفني. وتورده الروائية من وجهات نظر متعددة، من خلال الابطال ليثير في نفوسنا السؤال الأهم عما تطرحه الرواية في مقولتها الأيدلوجية.

عنوان نابت من (زمكان) الفعل والمواجهة، متجذر في أرضيَّة النصَّ، كـ جذور شجرة الرمان في الباغ الذي يمزج بين الأمل ووجع التأريخ_ ومنفتح على الآتي بحجم السؤال.

رواية "الباغ " هي رواية الذاكرة ولا يمكنني اعتبارها رواية تاريخية، لأنها تتناول مرحلة قريبة، ما زالَ هناك شهود عيان عليها، رأوها وعاشوها، فهي شكل من الأشكال وجزءٌ من هذا الراهن، جزء من الحاضر الذي نعيشه.

وكما قال أحد الروائيين (عبد الكريم ناصيف) عن إحدى الروايات _ينطبق على "الباغ" أيضًا " في الحقيقة رواية حاضرة، رواية من زمن لا يزال يؤثر فينا، ويعيش في ذاكرتنا القريبة والبعيدة.

---

[1] - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، حمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، مكتبة لبنان،1987: 75.
[2] - ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، دار صادر - بيروت، ج8: 418.
[3] - البقرة: 173.
[4]- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، المحقق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط2، سنة النشر: 1420 – 1999، 26.
[5] - ينظر: رواية الباغ، بشرى خلفان، مسعى للنشر والتوزيع، ط3، 2018: 55.

رصدت الروائية بشرى خلفان السنين الأخيرة من الاستعمار البريطاني والانكليزي لعُمان وحركة القوميين وتأثيرها في رسم مسار خارطة الخليج العربي السياسية والعسكرية وكذا الاقتصادية.

ناقشت من خلالها موقف شعب السلطنة من الاستعمار والتدخلات الخارجية وتتابع الروائية من خلال "الباغ" وضع اللمّسات الأخيرة على مرحلة هامة من مراحل تكوّن تاريخ سلطنة عمان الحديث، وتقديم صورة واضحة للأجيال، لمعرفة نضال الشعب العماني على كافة الأصعدة (السياسية، والعسكرية، والاجتماعية، والتعليمية، والثقافية)، وذلك من خلال الأدوار التي تحلها الشخصيات المتعددة والانتماءات الاجتماعية والمستويات التعليمية والثقافية.

تستعيد الكاتبة الأحداث، وكأنها حدثت بالأمس طازجة، أخرجتها التداعيات _تداعيات المنطقة_ من أمكنتها القريبة والبعيدة، تُعيدها إلينا محّملة بالمرارة والعذاب، لتصبح ركيزة نضالية تتداخل فيها الأمور الروحية والدينية، والقضايا الاجتماعية والسياسية والإنسانية والثورية، المترافقة بالانتصارات والاخفاقات المؤقتة عبر مشاهد ولوحات داخلية وخارجية، كشواهد حَّية، عميقة ، وذكريات قادمة من الماضي، مكلّلة بالفرح والأمل، مشحونة بالقلق والخوف وحالات الترقُّب.

عند الحديث عن الشخصيات في رواية "البَاغ" التي تنتقل وتتحّرك في أمكنة عدة، لا بدّ من المرور على الأمكنة الدافئة النابضة بالحيوية، وعلاقة الشخصيات الحميمة معها.

وفي هذه العلاقة القوية النشيطة في المكان تتغلّب المصلحة العامة على المصلحة الفردية.. أما إذا كانت العلاقة بالمكان نابعة من المصلحة الشخصية النفعية غير المنتمية إلى المكان، فهي علاقة آنية تنتهي بانتهاء الهدف والغرض، ويهجر هذا النوع من الشخصيات هذه الأمكنة إلى أمكنة اخرى والسعي مجددًا لتحقيق الأهداف نفسها، حيث لا تتركُ هذه الأمكنة أي أثر في الذكراة.

الشخصيات في رواية (البَاغ):

تعد الشخصية من ضمن أكثر العناصر الروائية أهمية ، لأنها تشكل " العنصر الحيوي في العمل الحكائي بحيث لا نستطيع أن نجد قصة أو رواية معينة دون وجود وتدخل الشخصيات، وذلك لأنّ هذه الأخيرة تلعب دورا أساسيا ومهما في بناء الرواية، مما أدى إلى اهتمام المنشغلين والمهتمين بالأنواع الحكائية المختلفة به"[1]، وتسعى هذه الشخيصات أن تهيء لنا الواقع من خلال فاعليتها مع غيرها وعبر تناميها التدريجي، وتستلزم على الشخصية الروائية أن تثبت في صمودها أمام استمرارية حركة الزمن.

أولًا: الشخصيات المدوّرة أو المكشفة:

أول من اصطنع هذا المصطلح هو الروائي والناقد الإنكليزي "فوستر" وترجمه إلى الفرنسية "ميشيل زيرافا"[2].

- الشخصيات الرئيسة:

يُمثل (راشد وريّا) الشخصيتان الرئيستان الناميتان في رواية (البَاغ)، عاصروا مرحلتين من الظلم

الشخصيات الرئيسية

[1] - قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1997: 78.
[2] - ينظر: النص النسوي ومأزق البنيوية "دراسة تحليلية"، تأليف الدكتورة سماح عبدالله الفرَّان، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع :79.

ريّا راشد

الأولى ظلم اهلهما (عمهما شقيق أبيهما)، وهجره لأهله،

"بلادٍ ما ترد الظلم عن أولادها ما نبات فيها ليلة" [1]،

أراد بها (أهل البلاد) لأن البلاد لا ترد هي ولكن أهلها الذين يردون الظلم عن المظلوم بشكل عام وعن أولادهم بشكل خاص،

"وانا ما أقدر على الظلم والمهانة" [2].

وكأني بـ (راشد) يذكر قول الشاعر طرفة بن العبد[3]:

وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةعلى المرءِ من وَقْعِ الحُسامِ المُهنّد

والثانية فهي عند انضمام (زاهر) ابن ريّا مع الثوار في الجبال في ظفار

- غاص صوت راشد وهو يقول:
- آخر مرة موجود كان في ظفار، مع الثوار في الجبال[4].
- يريد أن يبدد الوجع بالكلام فيعود ليسألها فتقاطعه[5].
- يكس عينه أما عينها المتقدتين بالغضب، والمكسوتين بالخيبة، ثم يتغير صوته، يأتيه بلوعته الكاملة وكأنه عويل[6].

– سمع راشد جملة زاهر الأخيرة فشعر بتصاعد الغصة إلى حلقه، ثم بألم يبدأ من مكان اصابته القديمة في وادي بني حبيب، وينتشر بين ضلوعه تجمع الدمع في عينه، وما عرف كيف يعالجه، فنكس رأسه، وما رفعه حتى اتاه صوت زاهر ثانية[7].

أحس كلًا من راشد وريّا بظلم ولكنه ظلم من نوع مختلف (ظلم اختيار زاهر لطريق الثوار)، أحست ريّا بضياع فلذة قلبها ابنها الوحيد أقرب الاشخاص لروحها، أما راشد فقد أضاع الأمانة التي ظلّ محافظ عليها قبل أخته وابنها.

فشخصية ريّا: تعتبر هذه الشخصية أكثر الشخصيات حظًا في الظهور فهي ليس مجرد شخصية أساسية ومحورية تدور حولها الأحداث فحسب بل هي أيضًا البطلة والفاعل الاساسي في الرواية، تمثل بؤرة الصراع وفي قلكها تدور بقية الشخصيات الاخرى، شخصية شجاعة مغامرة، محملة بالدلالات، تشكل

---

[1] - الباغ: 11.
[2] - المصدر نفسه : 12.
[3] - ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط3، 1423 – 2002: 56.
[4] - البَاغ : 293.
[5] - المصدر نفسه: 303.
[6] - المصدر نفسه: 304.
[7] - المصدر نفسه: 348.

ريّا مركزًا ملهمًا، ومحورَ اهتمام للشخصيات الأخرى، وهي ذو قدرة على التأثير ابتداء من (وادي بني حبيب) وولادتها إلى

- كانت "نميصة" بينهما، وهما مطرقان يفكران في حلّ، فأشارت عليه ببيعها خوفًا من غدر اللصوص أو الحراس[1].
- عرفت في تلك اللحظة أن ريّا قد دخلت قلبها من باب لم يدخله قبلها أحد ولن يعرفه أحد بعدها[2].
- يد هشه هدؤها، تعامله وكأنه ولدها الصغير، وكان يستجيب لها وكأنها الأم التي لم ينعم طويلًا بها، تقرأ صحيفة نفسه وتعرف كيف تنزع فتيل غضبه بكلمة[3].
- وهي تحمل رأسه وتنقله بكفها فلا تدعه لحظة دون أنْ تسنده [4].

وحسب تقديري يحمل معنى اسم (ريّا) شيئا مما جاءت به فكرة الرواية، إذ أن معناه: التي شربت حتى ارتوت؛ فهي عطشى في الأصل وارتوت في آن واحد، الاخضر من اغصان الشجر، والرائحة الفواحة الطيبة، وهي تجتمع على معنى واحد هي أرض سلطنة عمان الذي مهما حصل لا تتبدل وكذا شعبها وخير دليل على ذلك وفرة الاسماء والمصطلحات الاثرية التي استعملتها الكاتبة بحرفية عالية وكأن القارئ أمام معجم خاص بأسماء التراث العماني.

الشخصية الثانية الهامة هي شخصية (راشد) أخو ريّا إنّ هذه الشخصية في الرواية "تنخرط في حركة صراع حول المفاهيم والقيم والتطلعات والانتماءات، وقبل كل شيء مواصلة البحث عن مصير مجهول في فضاء صحراوي متعدد الأبعاد يضفي على الشخصيات نوعًا من العزلة والانفراد ... وهي ترتحل دون هوادة وكأنها لا تدرك معنى الاستقرار"[5].

مقومات هذه الشخصية:

_ البعد الفيزيولوجي: لقد قدمت الكاتبة شخصية راشد من خلال الوصف الداخلي والخارجي، كما قدمتها أيضًا من خلال الحدث والزمن والحوار والمكان.

فقد وردت في الرواية بعض الصفات الجسدية لـ (راشد) عبر الحدث فقد جاء على لسان السارد "عندما لم يدخله أبوه حلقات العلم، قيل إنه كان يخاف من اجتماع قوة الجسد وقوة العلم فيه، تندر الرجال بجسد: راشد من غير علم يشيل الحصاة بو ما يقدر عليها عشرة رجال بيد" [6].

- "هو يشبه أخواله، له بنية ضخمة، وبشرة لوحتها الشمس في ضواحي النخل، أنفه كبير وفي شفته السفلى شيء من الغلظة"[7].

_ البعد السوسيولوجي: ينحدر (راشد) من سلالة عريقة في وادي بني حبيب من الرستاق، ابن الشيخ سيف بن راشد العايفي، فهو أيضًا سليل علي بن غصن الساعدي، مشايخ السواعد.

_ البعدالسيكولوجي:

---

[1] - الباغ : 17.
[2] - المصدر نفسه: 31.
[3] - المصدر نفسه: 51.
[4] - المصدر نفسه: 297.
[5] - موسوعة السرد العربي، عبد الله ابراهيم، دار الفارس، عمان، الأردن، ط1، 2005: 568.
[6] - البَاغ: 80.
[7] - المصدر نفسه: 94.

جحدها بنظرة فيها غضب:

- وأنا ما أقدر على الظلم والمهانة[1].

" أحس بنفسه تضيق بنظراتهم المتعالية، ما الذي يجعلهم تتعالون عليه؟"[2].

كما أن (راشد) شخصية عنيدة، كما تميز بالصبر الشديد.

ثانيًا: الشخصيات الناشئة:

يتبدل المكان، وتتبدل الشخصيات، وتنمو العلاقات وتتطور وتتقاطع خيوطها، وترتقي الدلالات أكثر وبينما تكون في المكان الأول (أعلى السراير من الرستاق)فهي في المكان الثاني (مسقط).

- الشخصيات الثانوية

لعبت الشخصيات الثانوية أدوارًا متباينة داخل الرواية، فبعضها كان مساندًا للشخصية البطلة ومساعدًا في حين وقفت شخصيات اخرى في طريقها، وكانت عقبة في سبيل تحقيق اهدافها.

وهذه الشخصية " تقوم داخل الملفوظ بنسج شبكة من التداعيات والتذكير بأجزاء ملفوظية ذات أحجام متفاوتة" [3].

وهناك شخصيات ثانوية أمسكت بأطراف الأحداث واضاءت جوانب لابد من انارتها، لاستكمال الحدث وتفرعاته من الجوانب الإنسانية والعاطفية والاجتماعية.

تعدد الأصوات في رواية (الباغ)، لقد حققت (الباغ) الوعي الجمعي، وتوحيده على المستوى الشعبي، وعلى مستوى السلطنة، وجاءت الشخصيات من مختلف الانتماءات والاتجاهات الفكرية والسياسية.

فجاءت هذه الشخصيات كلًّا حسب أهمية الدور الذي تؤديه في الرواية ومن هذه الشخصيات حسب أهميتها: (زاهر بن علي، وعلي بن زاهر الجويري، العودة، البيبي/ نرجس/ سكينة، الشيخ خليفة بن راشد العايفي، العود، ...).

ومن حيث المكان في رواية (الباغ) فلم يكن مكانًا محددًا كما في بعض الروايات، فلا أحداث كانت تنتقل وتتحرك في أمكنة عديدة.

المكان:

المكان في رواية سواء كان مغلقًا أو مفتوحًا يستطيع أن يفسر الكثير من الدلالات الاجتماعية والنفسية واحالتها إلى عالم رمزي أو واقعي متخيل، والمكان قد ينسجم مع الشخصية وقد لا ينسجم، وإذا انسجم فأنها تحبه وتعيش في ألفة كما في بيت السراير وألفة ريّا له.

وإنّ لم ينسجم يكون مناقضًا لها، فيخلق هذا التناقض نوعًا من الصراع الذي يحدد ابعاد الشخصية وعلاقاتها مع انماط المكان المختلفة كما في "الفرضة"[1] وعدم تكيف راشد فيه.

---

[1] - الباغ : 12.
[2] - المصدر نفسه: 31.
[3] - سيميولوجيا الشخصية الروائية: فليب هامون، ترجمة: سعيد بنكراد، الرباط، 1990: 31.

إنّ هذه الرواية لبشرى خلفان تغري بالقراءة إذ ان بنيتها مثيرة بسبب نزوعها إلى التجريب، ويطال هذا التجريب كل المستويات بدءًا بالشكل العام للرواية، انها تجربة بل مغامرة جديدة في الرواية الخليجية المعاصرة تستحق منا البحث والتأمل، كما أن أحداثها مألوفة تتقاطع مع الرمزي والاسطوري الخيالي أنها تصور الواقع بمنظور ذاتي وشخصي فريد وخاص.

لماذا المكان؟

لم يكن اختيارنا للمكان في هذه الرواية ليكون موضوع بحث اعتباطيًا، وإنما لسبب جوهري وهو تضمن الرواية حضورًا قويًا لعناصر المكان، فقد طغى المكان في رواية (الباغ) على العناصر الأساسية للخطاب السردي وفي مقدمتها الشخصيات والسرد الذي يُعد أهم مبدأ أو خاصية يقوم عليها الخطاب الروائي حتى أن (جيرار جينت) يحدد سردية الخطاب بالنظر إلى هيمنة صيغة السرد فيه[2].

بالنسبة إلى هذه الرواية نلاحظ ثراء كبيرًا لعنصر المكان الذي تتحرك فيه الشخصيات، بل أن المكان يتحول فيها إلى شخصيات روائية فاعلة "تتجاوز وظيفتها الأساسية المتمثلة في كونها إطارًا او ديكورًا، لتصبح عنصرًا مهمًا من عناصر تطور الحدث"[3].

ولم يعتمد السارد في نقل المكان على مجرد الوصف الفوتوغرافي الذي يعيد تشكيل الواقع حسب صورته المفترضة وإنما كان يقدم المكان من خلال نظراته الخاصة، وقد انعكس ذلك على أفعال الشخصيات فحمل المكان بذلك قيمًا مختلفة وأحيانًا متعاكسة مثلما هو الشأن بالنسبة لفضاء (حارة بيت الوادي/ مسقط، والسراير من الرستاق) وهما المكانان الرئيسان في هذه الرواية ومجال المداخلة المقبلة.

المكان في الرواية:

نتناول في هذه المداخلة عنصر المكان في رواية "الباغ" ولأن الأمكنة متعددة في هذه الرواية فسأختار(مسقط، والسراير) وسوف لن تكون قراءتنا لهذا الفضاء "مجرد ابتلاع استهلاك، وترديد لأفكار ونوايا النصّ وحده، بل إنها لا تستقيم ولا تتحقق فعليًا إلّا من خلال تفاعلها مع الذات القارئة"[4].

وهكذا فإن النص لا يقرأ بشكل واحد لأنه يعطي لكل قارئ معاني ودلالات تختلف بحسب ثقافة ومعارف كل قارئ "بهذا المعنى ليست القراءة شيئًا معطى بواسطة النص الذي نقرؤه، بل هي فعل نبنيه وننميه عبر سفر جميل، ونعيد نسجه عبر ذواتنا ونتيح له إمكانية حياة جديدة"[5].

ومن هنا تأتي أهمية فاعلية القراءة والتي هي (كتابة ثانية) كما يقول منذر عياشي في كتابه (الكتابة الثانية وفاتحة المتعة): " فالقراءة لا تنفك تدور في فلك القراءة، بل هي كتابة ولكن بطريقة أخرى.. والنص نظام يستدعي القراءة وينعكس فيهان ولولا هذا لاستعصى إدراكه واستحال فهمه، ولأندثر معناه وغاب حضوره"[6]، ومن هنا تأتي أهمية وجود القارئ الجيد الذي يستطيع استنطاق مجاهل النصّ وسبر اغواره الخفية حتى لا تبقى دلالاته مخبوءة، وهذا من شأنه أنْ يسمح للقراءة على حدّ تعبير (ميشيل فوكو): " أن تقول في الأخير ما كان منطوقًا به بصمت هناك"[7].

---

[1] - الفرضة: مرفأ شبه صخري يطل على خليج هلالي صغير.
[2] - ينظر: تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، دار النشر: المركز الثقافي العربي - بيروت والدار البيضاء، ط3، 1997: 55.
[3] - تحليل الخطاب الأدبي، إبراهيم صحراوي، دار الآفاق، الجزائر، 1999: 207.
[4] - شعرية الفضاء، حسن نجمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000: 76.
[5] - المصدر نفسه: 77.
[6] - الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998: 5 وما بعدها.
[7] - نظام الخطاب، ميشيل فوكو: تحقيق محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة و النشر، 2007: 19.

وباستنطاق النصّ يبدو لنا فضاء (السراير) معادلًا موضوعيًا للموت والمهانة والظلم:

الموت موت (والدا راشد وريّا).

الظلم ظلم (عمهما ومن ثم أهل السراير لراشد وأخته).

والذي يقرأ الرواية يجد صورة أكثر ظلمًا من هذه الصورة.

_ ذهبت الأم في الحمى فغاب أبوه في الحزن[1].

_ ذهب الأثنان معًا أحدهم في الموت، والآخر في الحزن[2].

_ بلادٍ ماترد الظلم عن أولادها ما نبات فيها ليلة[3].

_ وأنا ما أقدر على الظلم والمهانة، ... ، لا تقولي تركنا السراير من مهانة وظلم.[4].

_ لكن هذه المرة لم يكن يشتكي له ظلم عمه وأهل السراير[5].

_ صرخ في حبسه " هذه بلاد لا تقبل الضعيف، ولا تحترم المحتاج، هذه بلاد ظُلام يا أبي، الجبابرة لا يأتونكم من الخارج، أنتم تلدون الجبابرة، من أرحام هذه الأرض يخرجون وينسلون ويفسدون"[6].

_ هل ستذكره بظلم العم والبلاد والعباد[7].

_ يمكن كفر بالظلم كما كفرت أنت به[8].

إننا أمام ظلم مكاني يمتهن كرامة الإنسان وحريته ومن ثم العهد الذي يأخذه على نفسه والمبادئ التي يلتزم بها، يتجلى ذلك من خلال قول راشد " أن أبوي محرم ريّا على الظُلام" ومثله أيضا زاهر ابن اخت راشد الذي ورث هذه الجينات ويطلب من خاله أن يخبر أمه أن الحُر لا يخون العهد ولو على رقبته، ويرجوها أن تسامحه... وهكذا نرى كيف أن الفضاء في هذه الرواية ليس مجرد خريطة جغرافية على حدّ تعبير (يوري لوتمان) أنه نتاج " لاشتغال تراكمي للدلالة وذلك من حيث انه كباقي العناصر التكوينية للخطاب الروائي يعيد القارئ بناء معناه ويشكل مظهرًا من مظاهر نشاط القراءة"[9].

وعلى العموم فالكاتبة تصور هنا الظلم الذي لحق راشد وريّا وكان تأثيره كبيرًا في شخصية (راشد) وتغيير مجرى حياته، والظلم الذي صورته الكاتبة ظلم أهل القرية بشكل عام (أهل السراير أعالي الرستاق) وظلم عمه (الشيخ خليفة بن راشد العايفي):

_ لا تقولي تركنا السراير من مهانة وظلم[10].

---

[1] - الباغ: 91.
[2] - المصدر نفسه: 92.
[3] - المصدر نفسه: 11.
[4] - المصدر نفسه:12.
[5] - المصدر نفسه: 54.
[6] المصدر نفسه: 101.
[7] - المصدر نفسه 300.
[8] - المصدر نفسه: 304.
[9] - شعرية الفضاء، حسن نجمي: 80.
[10] - الباغ: 12.

_ قال لها: نبدي الحاجة وقلة الحيلة بس ما نقول خرجنا الظلم من بلادنا، تراه بويهون على أهله يهون على الناس[1].

وقد نجحت الكاتبة في رسم صورة (ظلم القرية) وذلك من خلال استخدام كل الطاقات الفنية المتاحة لتقوية البعد الدرامي وتعميق الوعي بالذات والواقع المعيش، وكذا تأكيد الهوية من خلال الانكسارات الاجتماعية والثقافية والسياسية لواقع الشخصية الروائية.

ويتأكد ذلك من خلال إصرار الكتابة دائمًا على حضور صورة الآخر ضمن وعي الانا الساردة، وعلى هذا الأساس تستدعي الحكاية تركيبًا عند (بشرى خلفان) ينتقل مركز الثقل من الإنسان إلى المكان ممثلًا بالذكرى التي يحمله المكان،

_ طلب راشد من السائق أن يتجه إلى الرستاق وعندما قاربا مشارفها دلّه على طريق السراير ...[2].

سلمة وراء سلمة والمسافة بين الخطوة والخطوة زمن امتد بها منذ خروجهما من السراير إلى مسقط اتقاء الظلم.

_ هل ستذكره بظلم العم والبلاد والعباد؟[3]

ومن ثم تنتقل بنا الكاتبة إلى استحضار المكان/ الماضي ليواجه به المكان/ الحاضر، تستحضر ماضي القرية _ مكان ولادة راشد وريّا _ السعيد عندما كانا ينعمان بالأمن والامان قبل أن يطالهم الغدر والظلم والمهانة.

_ من البيت إلى النخل كانت تنقل إليه كل القصص التي كان يسليها بها أبوها، فيفغر فمه من دهشة الخوارق او يضحكان معًا من الطرائف[4].

_ تركا البيت على عجل، لم يمهلها لتأخذ ما يقيم أود الذكرى، لكن السراير في قلبها ، تحملها وتحط بأحلامها فيها في كل خطوة.

....

_ يا ريّا البلاد ما جبل وحصى ونخل وفلج.

....

الغربة في القلوب ما في المكان[5].

في هذا المقطع نلاحظ كيف تمضي (بشرى خلفان) في نزعتها التحويلية كانت بوصف مركز الثقل (القلب) وكيفية تعلقه بالمكان، لأن القلوب في السراير معلقة (وبالأخص قلب ريّا).

وتواصل الكاتبة معتمدة على الوصف والذي هو حتمية لا مناص منها في السرد كما يقول (عبد الملك مرتاض)[1]، فتقدم مشهدًا طافيًا بالجمال (جمال الشخص الحرفي رزقه وماله)،

---

[1] - المصدر نفسه: 30.
[2] - الباغ: 238.
[3] - المصدر نفسه: 300.
[4] - المصدر نفسه: 94.
[5] - المصدر نفسه: 47.

وهو ينحني على الأرض كان حرًا، وهو يتعفر بالتراب كان حرًا، وهو يغوص في طينها كان حرًا، وهو يخرج الشوك من قدمه الخشنة الدامية كان حرًا[2].

وبهذا تقدم الكاتبة صورة للمكان الذي يعيشه قبل أن يمتص حيويتها الظلم والمهانة، وبذلك فقد جاء الوصف لغرض فني ولم يأت بشكل اعتباطي وهو جعل الرواية تحمل شقين أو مرحلتين، مرحلة ما قبل الظلم وهي مرحلة الامن والأمان، ومرحلة الظلم والمهانة وهي مرحلة الغربة والتغرب، وبين المرحلتين تقف الكاتبة حائرة مرة وثابتة العزم تارة أخرى في كشف زيغ وزيف الباطل، ولهذا نراها ابدعت في وصف المرحلة الأولى على تعبها وشقائها إلا انها أحب إلى قلب راشد وأن كانت حياته مليئة بالأشواك وإن كان جسده مدمى.

الخاتمة:

1- للمكان في رواية الباغ شذا التشكيل الأول للشخصيات.
2- آلية الاختلاف في الرواية توكل إلى التقابلات المكانية _ بين فضاء الإقامة وبين فضاء الأصلي _ وتتبع الشخصيات لها.
3- ذاكرة المكان خالدة إلى يومنا هذا دلالة على التأريخ.
4- استغرقت الروائية بشرى خلفان عمقًا في المصير الوطني والقومي من خلال الباغ (تسجيل وثائقي).
5- مُشاهدة الفولكلور في مناسبات الباغ، والرواية سجل لكفاح شعبي ونضال وطني وتشييد دولة وإدراك للوعي السياسي وتطرح قضايا اجتماعية وحياتية عديدة.
6- المكان في رواية الباغ ليس معطى طبيعيًا يمكن تخلّله والاستحواذ عليه، إنما هو معطى سيمولوجي مُفعم بالدلالات والمعاني الروحية، فلا يحجم إتيانه على المدى المادي، بل يولج إلى داخل الشخصية منقب مستويات مع مستويات الذات المتباينة ليضحى جزءًا منها (الاحساس بالمكان).
7- إنّ وظيفة الذاكرة الروائية تتمثل في جلب الافكار والاحداث وتحويلها من مكانها الماضي إلى مكان الزمن الحاضر ومعالجتها على ضوء الوعي الوافد بها.
8- المكان في رواية الباغ ليس أرضًا وطبيعة صماء فقط وإنما هو فاعل ذو تأثير في سياق الرواية، لذا تحس بان المكان هو الذي يسرد ويفصح عن أحداثه قبل الراوي.
9- وفرت لغة الباغ العديد من التأملات والاستبطانات والمناجيات واعمال الذاكرة التي شدت وأمتعت.

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

1- تحليل الخطاب الأدبي، إبراهيم صحراوي، دار الآفاق، الجزائر، 1999.
2- تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، دار النشر: المركز الثقافي العربي - بيروت والدار البيضاء، ط3، 1997.
3- تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق" : عبدالملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت، بن عكنون الجزائر، 1995.
4- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، المحقق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط2، سنة النشر: 1420 – 1999.
5- رواية الباغ، بشرى خلفان، مسعى للنشر والتوزيع، ط3، 2018.
6- سيميولوجيا الشخصية الروائية: فليب هامون، ترجمة: سعيد بنكراد، الرباط، 1990.
7- شعرية الفضاء، حسن نجمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000.

[1] - ينظر: تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق" : عبدالملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت، بن عكنون الجزائر، 1995 : 264.
[2] - الباغ: 38.

8- قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1997.
9- الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998.
10- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، دار صادر - بيروت، ج8.
11- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، حمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، مكتبة لبنان،1987.
12- موسوعة السرد العربي، عبد الله ابراهيم، دار الفارس، عمان، الأردن، ط1، 2005.
13- النص النسوي ومأزق البنيوية "دراسة تحليلية"، تأليف الدكتورة سماح عبدالله الفرَّان، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع.
14- نظام الخطاب، ميشيل فوكو: تحقيق محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة و النشر، 2007.